وقفة مع الشاعر حجازي في قصيدته :

(عرس المهدي)[1]

ممدوح السكاف

تجربة الشاعر احمد عبد المعطي حجازي تجربة غنية الابعاد ، عميقة المغزى ملونة الايقاعات والدلالات ، تمثل التكوين الذاتي والثقافي والانساني لواحد من رواد حركة التجديد في الشعر العربي الحديث . لذلك فهي تجربة جديرة بالتوقف عندها ورصد مكوناتها والالمام بمعطياتها على ارض الواقع واضافتها الى تاريخ الحداثة الشعرية .

احمد شاعر ريفي . ولد في الريف المصري وعاش فيه شطر اليفاعة من العمر ، ثم انتقل الى القاهرة ليتابع تحصيله العلمي . وجدانه الشعري وجدان رومانتيكي ذاتي يدور حول ثراء الطبيعة وسحر القرية وعذابات الحب والفرق في العزلة والاتجاه نحو التأمل . كذلك يمكن القول ان ولادته كشاعر كانت ولادة رومانسية على الرغم من نشأته الكلاسيكية الصارمة في الحياة المنزلية والاجتماعية والتعليمية ، وفي هذه المرحلة من العمر الشعري ، كانت نظرة حجازي الى الشعر تتركز على انه فن ذاتي يتحدث بأسرار الشاعر متأثرا بذلك في قراءاته لاشعار سادة الرومانتيكيين امثال علي محمودطه وابراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل وعبد الرحمن شكري (الجميع غابوا) .

لقد جهد حجازي في شطر شبابه الاول حتى صار له قاموس الرومانتيكيين في اللغة وطريقتهم في التصوير وتجاربهم الاثيرة ، ولكنه فوجيء عندما انتقل الى القاهرة ليستقر فيها استقرارا كاملا ويودع حياة القرية الهادئة وينخرط في صخب المدينة وعلاقاتها المعقدة وتجاربها الجديدة على روحه القروية البريئة ، بان رومانسيته مرفوضة من قبل شعراء القاهرة وعالمه الخيالي المجنح مثار استهزاء واستنكار من قبل المجتمع الادبي في العاصمة الكبيرة ، وأحس أن الشعر يتجه في تلك المرحلة من بدايات الخمسينات الى ان يكون واقعيا يصور حياة الانسان في صراعه مع الفقر والمرض والجهل لتأكيد انسانيته وتحقيق ذاته ، فأخذ نتيجة لنشوء قناعات مستجدة لديه من جراء معايشته لحياة المدن وما فيها من زخامة وحدة يغايران ما عهده عن الريف وما فيه من هدوء وقناعة ، يتجه نحو معالجة موضوعات جديدة مستمدة من طبيعة احساسه بالقهر البشري الذي يعانيه الانسان وخضوعه لقوى الجلد الاجتماعي والعسف الطبقي ، مما يكسر شوكة نضاله ويميل به الى الاستسلام والخضوع والرضى القدري . ومن وحي مثل هذه التجارب ومن وحي هذا الاحساس والشعور كتب « الطريق الى السيدة » اول قصيدة له على الشكل الجديد آنئذ ثم كتب (مذبحة القلعة) ثم ما لبث ان وضع يده بجدارة وعمق وفهم على النموذج الذي ظهر في ديوانه الاول « مدينة بلا قلب » نموذج الغريب في المدينة، الى ان تهيأت للشاعر مجموعة من الظروف جعلته يؤمن ايمانا عميقا بالاشتراكية والوحدة العربية .

ولقد استطاع هذا المعتقد الناشيء في فكر حجازي ووجدانه ان يمده شعريا وفكريا بالنموذج المقابل للغريب الضائع ، وهو نموذج الثوري الواثق المتيقن ، فكان لا بد للشاعر من ان يجدد قاموسه الشعري الرومانسي ويطعمه بلغة جديدة هي لغة العصر والحياة اليومية والمعاناة الانسانية والبساطة المحببة ، دون ان يهوي به الى لغة الصحف السريعة التي انخدع بها بعض الشعراء في تلك المرحلة من ولادة فكرة الواقعية الاشتراكية كمذهب ادبي، فحسبوا ان الشعر الجديد لا يحتاج لاكثر منها .

ونتيجة لهذه النقلة والتمرس الحياتي والشعري وغنى التجربة والابحار في عالم الثقافة المتنوعة وخوض معركة النضال من اجل ترسيخ عقيدة الوحدة العربية ، حلم الجماهير وطموحها ، وعقيدة الاشتراكية مهوى الطبقات الكادحة المسحوقة في الوطن العربي ، ولد ديوانه

---

(١) منشورة في ديوانه (كائنات مملكة الليل) الصادر حديثا عن (دار الاداب) ببيروت .

الثاني (لم يبق الا الاعتراف) وتتابع نشاطه الشعري في دواوين لاحقة تعتبر جميعا تنويعات واضافات على اللحن الاساسي في ديوانيه الاولين : الغربة والثورة .

الشاعر احمد عبد المعطي حجازي صاحب المجموعات الشعرية المبكرة في ريادتها الحداثية يعيش منذ أكثر من اربع سنوات تقريبا في مغترب الطوعي ومنفاه الاختياري بباريس (أثناء تبييضي لهذه الدراسة خلال شهر آب ٧٩، قرأت في الصحافة انه يقوم بجولة في بعض العواصم العربية) يقال انه هرب من جو التفسخ الثقافي في مصر ومن الهجمة الرجعية التي تشنها أدوات الثقافة المتخلفة القديمة في بعض المؤسسات الثقافية الرسمية هناك على تيار الثقافة اليسارية الحديثة ذات المنحنى القومي الاشتراكي والتي يقودها عملاء سلطة السادات من المثقفين واشباههم أمثال رشاد رشدي وعمر الدسوقي وصالح جودت ، ويوسف السباعي ، (والاخيران ماتا). يقال ايضا انه يقيم في العاصمة الفرنسية لسبب علمي صرف هو تحضير رسالة دكتوراه في الدراسات الادبية العليا في الجامعات الفرنسية بمنحة مادية ، ويقال : بل هو هناك لتدريس مادة الشعر العربي في جامعة «فنسان» الفرنسية . يقال ويقال ويقال ... اشاعات كثيرة وتفسيرات أكثر ، ولكن أليس من الضروري ، بل من الواجب ان نسمع اسباب هجرة الشاعر حجازي ومغادرته لمصر من فم الشاعر نفسه ، فهو ادرى بما فعل !

اذن فلنعد الى جريدة « السفير » التي كانت قد اجرت عام ١٩٧٧ مقابلة مع أحمد حجازي ، دسمة الآراء ، جريئة الطرح ، يقول فيها شاعرنا معللا رحيله عن بلده : « الحقيقة ان الفترة التي تلت ثورة ١٩٥٢ ادت الى قيام وضع ثقافي هش بالرغم من الايجابيات الكبيرة والمنجزات الضخمة التي قامت في مجال الثقافة . وهشاشة هذا الوضع ، تنبع اساسا من ان مثقفي العهد الناصري الذين نشأوا وهم لا يمتلكون الا جذورا ضعيفة من جهة والذين اضطروا الى ان يملأوا باكرا كل مؤسسات الثقافة ناشئين في ظل ظروف تنظر الى كل علاقة بالخارج على انها علاقات تنتقص من الوطنية ، لقد حرم هذا الوضع مثقفي العهد الناصري من ان يستكملوا ادواتهم على مهل وان يحافظوا على الاتصال بالثقافة العالمية عن كثب . ان النتيجة العامة لهذا الوضع تمثلت فيما بعد العام ١٩٦٧ بركود ثقافي واضح اظهر لنا ان الثقافة المصرية والعربية بشكل عام وصلت في اوائل السبعينات الى مأزق خطير جدا بسبب كل هذه الامراض (اغلاق المجلات الثقافية المتخصصة ، فضائح السينما ، هبوط الحركة المسرحية ، تخبط دور النشر الحكومية) ان هذا كله يؤدي بنا الى الاقرار بان الثقافة المصرية العربية بشكل عام وصلت في اوائل السبعينات الى مأزق خطر جدا بسبب هذه الامراض واصبح على المثقفين العرب ان يجدوا لها بعض الحلول وخاصة في مجال العودة الى الاتصال بحركة الثقافة العالمية » .

السبب الحقيقي الواعي الذي كان وراء خروج حجازي ليس هو فقط ما تعرض له المثقفون المصريون التحرريون من مذبحة فكرية ، والعمل في سبيل ايجاد ثقافة عربية نظيفة من خارج مصر . وعلى الجبهات العربية التي توزع عليها الادباء المصريون المنفيون او المهاجرون في كل من العراق وبيروت وبعض اقطار المغرب العربي، انما هو رغبة الشاعر في التماس المباشر مع الثقافة العالمية عن طريق الثقافة الفرنسية لانقاذ الثقافة العربية مما تعانيه من تخبط وتشويش وسديمية في الرؤية وتناقض في الفعل ، والنضال في سبيل خلق كيان ثقافي عربي جديد ، عن طريق الانفتاح على آفاق الثقافة الانسانية بعد ان انغلقت المؤسسات الثقافية العربية خلال مسيرة الثورة العربية بدءا من مطلع الخمسينات على ثقافة قسرية تتأطر داخل الحدود . واذا مالت الى جانب دون آخر ، كأن تميل الى التأثر بالثقافة الاشتراكية او التأثر بالثقافة الرأسمالية ، فبالهوى السياسي الرسمي الحكومي تفعل ذلك، لا بالرؤية الواعية والتعمق الموضوعي في فهم جوهر الثقافة واعلاء بنيانها على هذا الاساس .

هذه نقاط كان يجب اثارتها على خريطة حياة عبد المعطي حجازي وخروجه من مصر وتغيير الجبهة الثقافية التي كان يناضل عليها جغرافيا هذا الشاعر الحر والتي تذكرنا للمناسبة بخروج محمود درويش من الارض المحتلة، وتبديل موقعه النضالي خدمة للقضية الفلسطينية مع حفظ الفارق في الظروف الموضوعية والجغرافية والسياسية التي تخص كلا الخروجين .

ولكن ما لنا ولهذا الان ... قضية الهجرة والارتجال وتغيير المواقع هذه تبقى قضية جد شخصية ، والتاريخ يعلمنا ان المفكرين عندما يضطهدون في بلادهم يلجأون لغيرها ليقولوا كلمتهم الصادقة الثورية بكل حرية ودونما أدنى خوف . المهم ان الشاعر حجازي ، كان قد دعي الى الدار البيضاء ليلقي قصيدة في ذكرى استشهاد عمر بن جلون المناضل المغربي التقدمي الذي اغتالته عصابة رجعية في كانون الاول عام ١٩٧٥ فاستجاب وألقى قصيدته الكبيرة (عرس المهدي) التي اعاد بها الثقة في اصالة الشعر العربي الحديث ، وفي تجدد دمائه على الدوام وفي قدرته على التخطي والتجاوز والمرحلية المتقدمة من جهة ، بعد ان استشرت الهجمات المعادية ضد هذا الشعر في السنوات الاخيرة تريد تصفيته ، وان تشهر ورقة نعيه ، ومن جهة ثانية على المستوى الشخصي للشاعر استطاع احمد عبد المعطي حجازي ان يغادر بهذه القصيدة بالذات كلاسيكية الحداثة في شعره — ان صح التعبير — الى حداثة الحداثة في معطياته الفنية

المستقبلية وأن يكون موضوعيا عندما تحدث في مقابلة (السفير) نفسها عن مرحلته الشعرية الجديدة هذه وقال : « اعتقد ان قصائدي التي كتبتها هنا ـ يقصد بفرنسا ـ قد تنبىء عن تطور جديد في شعري ، ولكن أرجو من القارىء الا يتوقع أي انقلاب ولا سيما من شاعر أضحى مقيدا بتقاليد لا يستطيع منها فكاكا الا بمقدار. وهذا المقدار هو ما انجزته فعلا وما يجعلني اقول ان أشعاري الاخيرة تمثل تطورا معينا ، فعلى صعيد الشكل تنحو قصائدي الجديدة الى شيء من النقاء ، وبهذا النقاء اقصد مسألتين ، الاولى هي التكثيف في استخدام اللغة والادوات والصور والثانية هي اليقظة العقلية التامة امام العلاقات المعقدة المتداخلة من أجل تحقيق أقصى ما يمكن من اتحاد بين هذه العلاقات وبين القصيدة كبناء لغوي من جهة وكفكرة من جهة ثانية ، اما في مجال الموضوع فأشعر انني مشدود الى الافصاح اكثر عن أعماقي المستترة بل ، وحتى عن الجانب الخاص الذي يفردني عن الاخرين » .

تقبض هذه القصيدة ـ اقصد عرس المهدي ـ بقوة ووثوق على شكل درامي مننام تراجيديا وقصصيا ، وتطمح مع شفافية الصور فيها وجلائها ونعومة ملمسها ولغتها الشعرية المركزة المكثفةالصافية ووسائلها التعبيرية المستجدة المتنوعة (حوار ـ مونولوج ـ دراما) ان توائم بين الجنوح الى الغموض المقروء والاقتراب من الوضوح الغامض ، بين التطلع الفني المباشر ، وطرح الصياغات الشعرية المستحدثة لتصنف في النهاية قصيدة رومانسية في الاداء وطرق التوصيل الشعري والعاطفة الخيالية المسكونة بحزن متجالد متماسك على البطل الشهيد وواقعية الواقع وحرارته وزخمه منهموم النضال العربي، من صراعاته وصدماته مع قوى الظلم والاستغلالوالرجعية في الداخل والخارج.

تبدأ القصيدة من نهاية الحادثة الدرامية فيها ـ الشاعر هنا كما قدمنا يستعمل لغة القص ـ فالمناضل العربي الشهيد عمر بن جلون يقبع في قبره ـ بيته الجديد ـ وعندما يحل الظلام يهيىء نفسه الخروج الى السهر ومعاقرة الحياة والاستمتاع بملذاتها ، وما ان يتناهض من نومه الثقيل ـ موته الابدي ـ ليستعدلسمر الليل وقصفه بقلبه الطافح بالمسرة والصفاء حتى يصيخ باذنيه الحساستين ، الى صوت حبيب الى نفسه ـطري على سمعه يعرفه تماما ـ يألفه ويهواه ويتذاكر رنينه بلا تردد ، هو صوت صديقه الصميمي جدا في درب الحياة المتشابهة والموت المتشابه ، بن بركة وتفجأ المفاجأة السعيدة المذهلة الصديقين الطيبين المشتاقين للقاء وينسربان في معراج الزمن على أجنحة الغمام والنور والحلم . والشاعر هنا ـ اضيف ـ يستعمل لغة السرد والحوار كي يجسد الحدث القصيدي ويلونه بالحياة :

يستطيع ابن جلون ان ينهض الان
فالشهداء يموتون كي يفرغوا للسهر
عم مساء عمر
يتململ في رقدته عمر
محتضنا في يده قلبا
أو عصفورا مبتلا
ويصيخ لصوت يعرفه
يفجؤه الصوت ، الذكرى
ـ المهدي
ويرتقيان معا درج الزمن السري

وتمضي القصيدة في ارتجاعات فنية على طريقة ـ الفلاش باك ـ السينمائية لتصور احلاما متخيلة وحياة سابقة في عمر دنيوي اخر وذكريات محزنة عاشها ابن جلون في زمن عربي قديم موحش وفي وسط فقير بائس في قيسارية غرناطة اذ كان عجوزا مسكينا يعمل سقاء وفي اوقات فراغه يجلس على قارعة الطرقات ينظم شعرا رديئا محلونا ويغنيه انشادا بينما الشمس اللاسعة تكوي جبهته والذباب الازرق يحوم حواليه، اما الان فهو في منتهى الغبطة والفرح وامتلاك شرط الحرية ـ شرط الحياة الحقيقية في موته المعتم اذ :

يستطيع ابن جلون ان يفلت الان
من اعين المخبرين
وان يتنقل في الارض
دون جواز سفر
يتذكر عمر كميونة باريس
وكانت اول درس في الجغرافية
يمتد الوطن العربي شمالا
حتى كميونة باريس
وتمتد نيويورك الى ابار النفط العربية

لكن الحزن المسكون في دم ابن جلون المتجمد في روحه الكسيحة يعود اليه ثانية بعد سعادة كاذبة عندما يتذكر مجلسه في الحياة الدنيا ـ وهو الان ميت ـ مع المهدي بن بركة على سجادة ليل القاهرة الوردي وكان الاثنان عند ذاك شابين والزمن الحبيس في قمقم القلب يلعب بين ايديهما كوحش متبني ، والمهدي ينادم جلساءه ويحاورهم ويعلمهم بالقول والفعل بالحديث والممارسة فن الهجرة بالوطن السري ويقاسمهم الخبز الحي ويساقيهم دمه المسفوح غدا ويكشف ما لم يأت به القدر المسطور ، صفيحة ، صفيحة .

ويتدخل هنا ، في هذا الموضع من القصيدة، بين الميت والذكريات المتخيلة كزمن هارب وبين عمر بنجلون والمهدي بنبركة كبطلين قصصيين القصيدة، صوتالشاعر أحمد عبد المعطي حجازي نفسه الذي يعيش بعيدا عن وطنه العاجز عن الفعل ، مصر ، المسبل اليدين استسلاما

مختارا . باريس موطن الاشعاع الثقافي والحضارة الانسانية ورمز الثورة والحرية في التاريخ البشري النضالي منفى له . وملجأ يجتر في شوارعها المطرة وحاناتها العتيقة ومتاحفها العريقة ونهر « السين » المتجه كقطار مسرع نحو الابد الابيض احزانه الوطنية وذكرياته المرة واشواقه المعربدة ليسأل المهدي عن نفسه ، عن حاله ، عن الشاعر المتغرب او المغرب :

هل كان المهدي يرى صاحبه الشاعر منفيا
يسأل عنه في السان جرمان
وفي الدار البيضاء
ولا يجد جوابا ..

وابن جلون حتى وهو في ثياب الموتى يتذكر خارطة الوطن العربي الكبير المرصعة باللؤلؤ والياقوت وكل الاحجار الكريمة والمزينة بالاعلام القافزة على العشرين عددا باثنين والمطعمة بالفضة والذهب والمتفجرة في ارجائها الواحات الخضراء يتهادى في كل منها طاووس مغرور، ويرعى فيها البقر الوحشي عناقيد العنب ، ولا يسعه الا ان يمزق هذه الخارطة الوهم ، ويبكي من غضب سائلا: هل هي أعلام أم خرق من عار ؟ وهل هذه التي يخوض فيها الخونة انهار من عسل ام هي دماء فلسطين ؟ لكن ابن جلون يمسح دمعه ويتماسك ، انه حي خالد لايموت، انه يعيش في ضمير الاجيال العربية القادمة الرافضة المتمردة على واقعها البائس ، يمثل معنى الشهادة المقدسة :

وابن جلون من جسد الارض
من كيمياء الربيع
تحدر نهرا
فماذا على النهر لو صار غيما
وماذا لو النهر صار مطر
آه... زغردن للعشب يا امهات الضحايا
وخضبن شيب جدائلكن بماء الزهر

لا بد من عودة الى الطفولة ففي ارجائها البراءة . عمر بن جلون الان يقاسي مرارة الموت ومرارة رؤيته ـ حتى وهو ميت ـ للوطن العربي ممزقا أشلاء اشلاء ، متناحرا ، متباغضا ، تحكمه الطبقية والعشائرية والعائلية والاقليمية ، بينما ترتفع على جدرانه يافطات الاشتراكية وشعارات الدعوة الى القومية والوحدة ، فأي وطن هذا يرفع يافطة ويحرقها وشعارا ويلتهمه ، واي شعب هذا الذي يزداد أثرياؤه ثراء وفقراؤه فقرا ، اذن لا بد من عودة الى الطفولة للتذكر . ويعود ابن جلون بذاكرته الخصبة الى ايام كان صغيرا غرا ، بريئا ، ولدا طائشا ، يعيش في مدينة وجدة شرق المغرب العربي ويلعب في احيائها مع صبيانها وتأخذه الدهشة امام الاشياء ، يكتشف العالم كل يوم ، وذات مرة يرى تمثال ذلك الجنرال الرومي (رمز الاستعمار الفرنسي) ويقف امامه متأملا محدقا متسائلا لماذا تراه لا يتكلم ؟ لماذا هو اخرس صامت ؟ ويكرر مثل هذه الوقفة كل صباح وتشك الشرطة بوقوفه امام التمثال ، لا بد انه يضمر شرا ، مؤامرة .. وتأخذه الى مقر التحقيق وهناك يعيش التجربة ، الاولى للمرة الاولى ، تجربة الحرية والذود عنها ، تجربة اغتيال الكرامة الانسانية .

وينهي الشاعر قصيدته بتهويمة تفاؤلية مشرقة ـ شأنه شأن كبار شعراء الواقعية الاشتراكية كناظم حكمت ونيرودا ـ تفتق الامل بالنصر والبشارة بالغد السعيد من صميم الظلام الدامس وتطلع بالرجاء من حفرة الموتى وتابوت الاحزان والنسيان ، فلا بد لعمر بن جلون ان يراه الشاعر وهو يقود عساكره الفقراء والمحرومين ويهبط خارطة الاشياء ويعيد تكوين العالم المخرب . وينصف بعض العرب من بعضهم الاخر :

وأراه يقود عساكره الفقراء
ويهبط من فوق السحب
ليصحح خارطة الاشياء
وينصف عربا من عرب
السلام عليك عمر
وعليك السلام
ـ تتألم ؟..
ـ لا .. لم يعد وقته
ـ تتنعم
ـ لا .. لم يحن وقته
انا بين المساء وبين السحر
أتردد ما زلت ما بين الشعاعين
حتى يعود دمي للشروق
وتزهر وردته في الحجر !!

تبقى ثمة انتباهات في هذه القصيدة يمكن ايجازها في النقاط التالية:

● الفعل ـ اللازمة الذي يتكرر في هذه القصيدة بتوظيف فني متقن ، هو فعل (يتذكر) الذي يستعمل نحويا في حالة الحاضر ، لكنه شعريا يفيد الزمن الماضي في الرجعة الى الوراء لعرض شريط من صور الذكريات يمر ببال بطل القصيدة المرثي عمر بن جلون في مختلف اطوار حياته المتخيلة او الحقيقية : عندما كان عجوزا في غرناطة يعمل سقاء في احد الجوامع ، وعندما كان صبيا جوعان ، ضئيل الجسم يقف مدهوشا امام تمثال الجنرال الرومي ، فتلقي عليه الشرطة القبض خوفا من مغامرة يقترفها بحق الحجر الاصم ، وعندما كان طالبا يدرس في المدارس ويتلقى العلم عن كميونة باريس وحدود الوطن العربي ، وعندما كان يتحلق مع المتحلقين في مجلس المهدي بن بركة ويتعلم منه ، فن النضال ضد الطغاة،

في سبيل الحرية ، وعندما كان ينظر بتعاسة الى خارطة الوطن العربي الكبير الممزق ، واعلامه المرفرفة بلا طائل، ويبكي .

● يلاحظ ان ثقافة الشاعر الدينية ، في التصوف الاسلامي ، التي يشير اليها أثناء المقابلات الادبية معه . تتجلى بالاستفادة منها في هذه القصيدة ، من حيث مقولة الحلول او وحدة الوجود . فالميت حي ، يحل في كل شيء : انه نهر في جسد الارض ، (فماذا على النهر لو صار غيما ، وماذا لو النهر صار مطر) ، وتنسحب هذه الخاصية على مجمل تكوينات القصيدة ، ألفاظا وصورا وافكارا .

● لان الشاعر احمد عبد المعطي حجازي من اشهر، بل يكاد يكون . اشهر شعرائنا العرب المعاصرين . في فن الالقاء الشعري امام الجماهير واستقطاب اهتمامها عن طريقين ، طريق فنية القصيدة ، وطريق فنية الالقاء، أي التوصيل بمعنييه الداخلي والخارجي ، فانه يحرص حرصا مبالغا فيه على ايقاع القافية ونبرتها وجرسها الموسيقي الاخاذ الذي يستحوذ على مسامع المتلقين وبالتالي عواطفهم . صحيح ان هذه القصيدة من الشعر الحديث (المحدث) ، لكنها ترتبط باكثر من سبب ، بالقصيدة العمودية ، في الحرص خاصة على القافية وايرادها في مكانها الصميمي المناسب ، وهذا الحرص متأت في رأيي من منطلقين ، الاول ان شاعرنا شاعر جماهيري الالقاء والجماهير تعبد القافية ، فهي مثار انتزاع التصفيق ، والثاني ، ان ثقافة الشاعر ، ثقافة تراثية ، والتراث غالب فيها على التحديث والمعاصرة ، ومن هنا فانه يتعامل مع القصيدة ، قصيدته ، بوعي التوازن بين التراث والحداثة ، من ناحية، وبين استرضاء الجمهور والتوصيل « التوقيعي » له من ناحية أخرى .

● ليس عبد المعطي حجازي من الشعراء العرب الحديثين المولعين باستخدام الرموز أو الاساطير استخداما مجانيا . زائفا أو مفتعلا جريا وراء (تقليعة) أو (موضة) شعرية او نقدية . ان لغته الشعرية بحد ذاتها تتحول الى رموز من خلال استعماله لبعض الالفاظ والمفردات، فعمر بن جلون . والمهدي بن بركة لم يعودا هذين الاسمين بدلالاتهما الشخصية والتاريخية بل اصبحا رمزين متميزين من رموز المقاومة والنضال العربي ، وغرناطة ليست تلك المدينة الاندلسية الغاربة المجد العربي الاسلامي ، بل هي الان رمز للتلاشي والاندثار . اضافة الى كلمات الشمس، والعشب والخبز والوطن السري التي تحمل كل منهما، اسقاطات ومدلولات ، تفيض معانيها الحقيقية الى معان مجازية مستجدة .

والخلاصة ان قصيدة حجازي هذه ، قصيدة رائعة مضمونا وشكلا وبناء فنيا وتوجها قوميا وحساسية شعرية فائقة كمعظم قصائد مجموعته الجديدة (كائنات مملكة الليل) التي يخطو الشاعر من خلالها خطوة فسيحة الى الامام باتجاه التجدد الشعري الاصيل ، ليس في تجربته الشخصية فحسب ، وانما في تجربة الشعر العربي الحديث بعامة .

حمص - سوريا